BITARA
Volume 2, Issue 4, 2019: 043-054
© The Author(s) 2019
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

القراءات عند ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان

Almki Rmdan Ahmed Alwheshi & Nor Hafizi Yusof[1]

الملخص

تكمن دواعي هذا الموضوع في أن الإمام ابن جرير رحمه الله عند إيراده للقراءات في تفسيره ذكر قراءات شاذةً دون أن يصرح بشذوذها، وذلك في عدة مواضع، وأيضا لُوحِظَ أنه لم يضبط نسبة القراءة لأصحابها في بعض المواضع، فأنقص في نسبته لبعض القراءات التي أوردها، وزاد في بعضها، وأحيانًا يكتفي بنسبتها إلى الأمصار التي ينتمي إليها القارئ، وتأتي أهمية هذا الموضوع في أن الباحثين سيتعرضان للقراءات الواردة في تفسير الطبري تحليلًا؛ وذلك بتتبع ما أورده أبا جعفر من قراءات في هذا التفسير، فنجده في كثير من الأحيان يتكلم في القراءات المتواترة ويتعرض لها إما بتفضيل بعضها على بعض أو بالحكم عليها بالصواب دون الأخرى، ورده للقراءات المتواترة في بعض المواضع، ولأن القراءات توقيفية وأنها سنة متبعة لا يجوز التعرض لها بتصويب بعضها على بعض ولا بتفضيلها على بعض ولا بردها بأي حجة من الحجج؛ لأن القراءات المتواترة من عند الله، ثم سيبيّن الباحثان الأساليب التي استخدمها الطبري في إيراده القراءات في تفسيره وكذلك بيان المعايير التي وضعها ابن جرير في الحكم على القراءة؛ وذلك من خلال تتبعه في ما ذكره من قراءات في تفسيره مدلّلين ببعض الأمثلة ليصل القارئ إلى المراد، وبيان ووضوح المنهج الذي اتبعه المؤلف عند إيراده للقراءات في تفسيره، ومعرفة موقفه من هذه القراءات والتعرف على الأسباب التي جعلته يرجّح القراءات ويفضل بعضها على بعض، سائلين الله عزّ وجل الإخلاص والتوفيق والإفادة، والله أعلم وأعلى وأحكم.

مفاتيح البحث:

المعايير، الاختيار، الترجيح، الأساليب، قرأة الأمصار

Cite This Article:
Almki Rmdan Ahmed Alwheshi & Nor Hafizi Yusof. 2019. Al-Qira'at ind Ibn Jarir al-Tabari fi Tafsiruhu *Jami' al-Bayan*. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 2(4): 43-54.

المقدمة

فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة: 11). وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (سورة فاطر: 28)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم

[1] Universiti Sultan Zainal Abidin, Terengganu, Malaysia.

Coressponding Author:
Nor Hafizi Yusof, Universiti Sultan Zainal Abidin, Terengganu, Malaysia.
Email: nhafizi@unisza.edu.my

على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) (مسند أبي يعلى، ط1، 1404هـ، 163/2)، وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم معلماً، وسار العلماء الربانيون على نهجه صلى الله عليه وسلم في تعليم الأمة، وتعلم هذا العلم، وهذه الأمة تفتخر بماضيها وحاضرها، وهؤلاء العلماء الذين كانت لهم أيادٍ بيضاء على هذه الأمة بتوفيق من الله سبحانه وتعالى لا بد أن يتعرف عليهم أبناء هذا الدين، ليكونوا لهم قدوة ولينسب الفضل إلى أهله، ويعرف الفضل لذويه، كما قال ابن عباس (لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوي الفضل) (تاريخ بغداد، للخطيب، 15/14).

ولا شك أن هذا من العدل ومن حسن العهد الذي هو من الإيمان، وإذا كانت الأمم الكافرة تبجل عظمائها، وتعقد الذكريات السنوية لحياتهم إحياءً لذكراهم وذكراً لمناقبهم وأطوار حياتهم وشرح مآثرهم، بل يسمون ما لديهم من المدارس والجامعات والمؤسسات بهؤلاء العظماء؛ فإن أمة الإسلام أولى بأن تحفظ الجميل لأهله، ونحن لسنا بحاجة إلى بدع ولا أعياد، ولا احتفالات لهؤلاء.

فإن العلماء رحمهم الله تعالى قد عرفوا الفضل لأهله، فسطروا تواريخ هؤلاء العلماء وسيرهم وحياة كل واحدٍ منهم، وذكروا مآثرهم ومناقبهم وفضائلهم ومصنفاتهم وتلاميذهم وشيوخهم، كلها مسطرة بحيث أن المسألة لا تحتاج إلا إلى جهد في القراءة والاطلاع للتعرف على مآثر هؤلاء العلماء، ولكن يبقى أنه لا بد من نشر فضائل هؤلاء العلماء في الدروس وغيرها مما يلقى على الناس، حتى يتعرف الناس على علمائهم، ولا شك أننا أمة لنا ماضي وحاضر، وأننا ممتدون عبر الأجيال، ونحتاج إلى ربط الماضي بالحاضر، ولسنا مقطوعين عما مضى أو أبناء هذا الزمان فقط؛ ولذلك يشعر الإنسان بالتآلف والاتصال عندما يقرأ في سير هؤلاء العلماء وفي هذا البحث سنتناول بمشيئة الله تعالى شخصية أحد علماء أهل السنة الكبار، والمشهور بشيخ المفسرين، وعلم من أعلام اللغة والقراءات والفقه وغيرها من العلوم، وهذا العلَم هو ابن جرير الطبري رحمه الله، وسيبيّن الباحثان لمحات من حياته تشمل اسمه وكنيته، حياته ونشأته، كتبه ومؤلفاته، موته ورثاؤه.

المطلب الأول: ابن جرير الطبري والقراءات في تفسيره وفيه

الفرع الأول: منهج ابن جرير الطبري في القراءات

يعتبر ابن جرير من العلماء المعتبرين في هذا العلم، لذا فهو موسوعةٌ علميةٌ متكاملة لا تكاد تجد نظيره، وهذا واضح من غزارة المادة العلمية التي تزخر بها مؤلفاته وخاصة كتابه "جامع البيان"، الزاخر بالعلوم والفوائد العلمية العظيمة، والذي يعتبر مرجعًا رئيسًا لطلاب العلم، لأنه شاملٌ جامعٌ لكثير من العلوم والفنون التي أبدع فيها مؤلفه رحمه الله، وذلك راجعٌ للعصر الذي عاش فيه ابن جرير الذي كان زاخرًا بالعلماء والفقهاء، وقد نال الطبري منهم الحظ الأوفر من التعليم والتعلم، وأيضًا كانت لهجرته ورحلاته حول عواصم العلم الكمّ الهائل من العلم والإتقان والمؤلفات التي

ملئت المكاتب الإسلامية، وغير ذلك من الأمور التي جعلت الطبري سلطان عصره في التفسير والقراءات وغيرها من العلوم، فقد كان زمان ابن جرير مليء بالعلماء والقراء الذين اهتموا بالقراءات وفنونها والذين كرّسوا أنفسهم لخدمة القرآن وعلومه كعلوم القرآن والتفسير وغيرها من العلوم التي قد برع فيها الطبري، فكل هذه العوامل ساعدت في أن يكون لابن جرير اختيارًا في القراءة، حيث إن له مؤلفًا ذكر فيه ما اختار من القراءات، وقد أسماه بكتاب "القراءات"، وللأسف فُقد هذا الكتاب ولم يُعثر عليه، ومن حسن الحظ أن ابن جرير ذكر جُلّ اختياراته في كتابه "جامع البيان"، وسيعرض الباحثان منهج الطبري في عرض القراءات وذلك من حيث كيفية الاختيار وطريقة عزوه لها، وبيان الطرق والألفاظ التي استخدمها الطبري في الاختيار، وفي ما يلي بيان ذلك:

أولًا: منهج ابن جرير الطبري في اختياره للقراءة

للطبري منهج وضعه لنفسه سار عليه في اختياراته للقراءة، سيبيّنها الباحثان من خلال التعريف بالاختيار لغة واصطلاحًا، والتفرقة بينه وبين الترجيح، وبيان الصيغ التي استعرضها المؤلف في تفسيره، وغير ذلك مما يخص الاختيار عند ابن جرير، والذي سيبينه الباحثان فيما يلي:

تعريف الاختيار لغة واصطلاحًا

الاختيار لغة: الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يُحمل عليه، فالخير خلاف الشر; والخيرة: الخيار. والخير: الكرم. والاستخارة: أن تسأل خير الأمرين لك. وكل هذا من الاستخارة، وهي الاستعطاف، فيُقال رجلٌ خير وامرأة خيرة: فاضلة، وقوم خيار وأخيار في صلاحها، وامرأةٌ خيرة في جمالها وميْسمها، (معجم مقاييس اللغة، الرازي، 1399هـ، ج2 ص232/233).

تعريف الاختيار اصطلاحًا

للاختبار عدة تعاريف عند العلماء، سيقتصر الباحث على أبرزها باختصار:

تعريف مكي بن أبي طالب:

قال مكي: "وهؤلاء الذين اختاروا، إنما قرأوا لجماعة، وبروايات، فاختار كلُّ واحد مما قرأ وروى قراءةً تُنسب إليه بلفظ الاختيار، وقد اختار الطبري وغيره، وأكثر اختياراتهم، إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء، قوة وجهه

في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه، والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة، وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجةٌ قويةٌ، فوجب الاختيار، وربّما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات، وأصحّها سندًا، وأفصحها في العربية، ويتلوهما في الفصاحة خاصةً قراءة أبي عمرو البصري، والكسائي"، (الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، دار نهضة مصر للطبع والنشر ج1، ص89).

الترجيح والتفريق بينه وبين الاختيار

وبعد تعريف الاختيار لغة واصطلاحًا لابد لنا أن نتطرق لمسمى الترجيح، والذي لا مناص لنا من بيانه، إذ إن له معنى مرادف خاصةً في هذا العلم؛ وذلك للتعريف بالفرق بينه وبين الاختيار، فبعضهم يرى أن الترجيح والاختيار واحد، وهذا ما دفع الباحث لذكر الترجيح والتفرقة بينه وبين الاختيار:

الترجيح لغة

الراء والجيم والحاء أصلٌ واحد، يدل على الرزانة والزيادة، يقال: رَجَحَ الشيء وهو راجح، إذا رزن، وهو من الرجحان، فأما الأرجوحة فقد ذكرت في مكانها. ويقال أرجحت، إذا أعطيت راجحًا، (معجم مقاييس اللغة، الرازي، 1399هـ - 1979م، ج2، ص489)، وحلم راجح: يرجح بصاحبه، وقوم مراجيح في الحلم، الواحد مرجاح ومرجح، والفعل من الأرجوحة: الارتجاح. والترجح: التذبذب بين شيئيْن (كتاب العين، الفراهيدي، ج3، ص78).

الترجيح اصطلاحًا

الترجيح هو إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر(الجرجاني، التعريفات، ج1، ص17.).
وقيل أيضًا: بأنه ترجيح أحد الطرفين على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه(ابو البقاء الحسيني، الكليات، ج3، ص89.).
وقيل فيه أيضًا: هو بيان القوة لأحد المتعارضين على الآخر(ابو البقاء الحسيني، الكليات، ج3، ص449.).

الفرق بين الاختيار والترجيح

من خلال ما سبق من التعاريف لكل من الاختيار والترجيح تبيّن ما سيأتي:

أ. الترجيح هو تقوية طرفٍ على الآخر لبيان الأقوى فيُؤخذ به ويطرح الآخر، إذن فهو عكس الاختيار الذي هو ميل المختار نفسه إلى ما يريد دون طرح الوجه الآخر.

ب. يعتبر الترجيح أعمّ وأشمل من الاختيار، فبين الاختيار والترجيح عمومًا وخصوصًا، فالاختيار خاصٌّ والترجيح عامٌّ.

ولزيادة التوضيح في التفرقة بين الترجيح والاختيار يتبيّن أن هاذين المصطلحين وخاصةً في علم القراءات، يعتبران بمعنى مترادف من حيث استخدامهما، إذ إن الاختيار يعتبر ضربًا من ضروب الترجيح، بشرط أن هذا الترجيح لا يُفضي إلى ردّ القراءة الغير مختارة، ولهذا يعتبر الترجيح مقبولًا عند أهل العلم.

وبالجملة فإن اختيار الإمام لقراءة معيّنة لا يُفضي إلى رد القراءة الغير مختارة، إذ إنهم يُقرؤون الناس بقراءات مختلفة غير المختارة لديهم، وكانوا قد اشتهروا بقراءة اختاروها لأنفسهم أن يقرؤوا بها، كما حدث مع القراء السبعة والعشرة الذين كانوا يُقرؤون الناس بعدة قراءات واختاروا لأنفسهم قراءةً اشتهروا بها وعُرفوا بها، وهم يعلمون أن كل القراءات الصحيحة من عند الله منزلةً وعلى رسوله مأخوذةً وأنها منقولةٌ إليهم بالتواتر، وقد أجمعت الأمة على قبولها وعدم ردّها أو إنكارها أو الطعن فيها، وأن من ردّها أو أنكرها أو جحدها يعتبر جاحد كافر.

الفرع الثاني: المعايير والضوابط التي استخدمها الطبري في الحكم على القراءة:

وضع الإمام الطبري رحمه الله بعض المعايير والضوابط التي نمن خلالها قَبِلَ واختار قراءته، وهذه المعايير والاختيارات جعلته يوافق القراء في اختياره فيبيّن سبب موافقته إياهم، وأيضًا عند مخالفته للقراء في اختياره يذكر سبب مخالفته للقراء، فيردّ على بعضها ويضعّف الأخرى وربّما يشذّذها، وأحيانًا يخرجها من كونها قراءةً صحيحةً لا يجوز القراءة بها عنده، وربما يكتفي الطبري بذكر الخلاف بين القراء بدون ذكره لرأيه واختياره في القراءة، ومما خلال بحث واستقاء الباحث تبيّن أن الطبري رحمه الله وضع لنفسه منهجًا سيسير عليه فقال في كتابه "القراءات" كلامًا نقض به ما ألزم به نفسه، فقال: كل ما صحّ عندنا من القراءات، أنه علَّمه رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يُقرؤوا بها القرآن، فليس لنا أن نخطئ من كان ذلك به موافقًا لخط المصحف، فإن كان مخالفًا لخط المصحف لم نقرأ به ووقفنا عنه وعن الكلام فيه (الإبانة عن معاني القراءات، ج1، ص53)، وقال ابن جرير أيضًا: حدثني يعقوب قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا شعيب قال: كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجلٌ لم يقل: "ليس كما يقرأ" وإنما يقول: "أمّا أنا فأقرأ كذا وكذا"، قال: فذكرتُ ذلك لإبراهيم النّخعي، فقال: أرى صاحبك قد سمع: "أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج1، ص54)، فإن كان هذا هو منهجه في القراءات وعرضها فقد يُفهم منه أنه اتسم بالورع والدقة في الحكم على القراءات التي وافقت اختياراته أو خالفته، وذلك بأن يقرأ بما اختار من القراءات وأن يسكت عن من خالفه منها وعن الكلام

عنه، ولكن لاحظ الباحثان وتبيّن لهما أن الطبري لم يسر على المنهج الذي رسمه لنفسه، فقد ذكر في تفسيره الكثير من المواضع التي وافق بها القراء في اختياره وأيضًا التي خالف بها القراء في اختياره مبيّنًا سبب مخالفته إياهم، والطبري رحمه الله يحكّم اللغة العربية في موافقته أو مخالفته للقراء، فهو يوافق القراء لمعايير منها اتفاق القراءتين في المعنى أو لشهرتها في العربية أو أنها هي الأفصح عند العرب أو للمساواة في شهرة كلا القراءتين وغيرها من المعايير التي استعملها الطبري في تفسيره للحكم على القراءات بأنها موافقة لاختياره في القراءة، وأيضًا في مخالفته للقراء يصف بعض القراءات بضعفها أو بعد صحتها مسببا ضعفها في العربية أو لعدم شهرتها، أو لأنها أشبه بالحق أو أنها ضعيفة في مقاييس اللغة أو لأنها غير مشهورة أو غير فصيحة عند العرب، كل هذه المعايير التي وضعها الطبري في موافقته ومخالفته للقراء يدفعنا لذكر أمثلة يذكرها الباحثان فيما يلي:

أ. قال ابن جرير: "فبأي القراءتين من (وعد) و(واعد) قرأ القارئ، فهو للحق في ذلك –من جهة التأويل واللغة– مصيب، لما وصفنا من العلل قبل" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج2، ص60).

ب. قال ابن جرير: "وأعجب القراءتين إلي قراءة من قرأ بالياء إتباعًا لقوله: (فما جزاء من يفعل ذلك منكم)، ولقوله: (ويوم القيامة يردون)، لأن قوله: (وما الله بغافل عما يعملون) إلى ذلك، أقرب منه إلى قوله: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ، فإتباعه الأقرب إليه أولى من إلحاقه بالأبعد منه، والوجه الآخر غير بعيد من الصواب" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج2، ص316). اعتمد رحمه الله على اللغة في تقوية قراءة على الأخرى، فكان اتفاقهما مبنيًّا على اتفاقهما في المعنى.

ج. قال أبو جعفر: "وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة مَن قرأ: (حتى يطهرن) بتشديدها وفتحها، بمعنى: حتى يغتسلن؛ لإجماع الجميع على أن حرامًا على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج4، ص384). جعل الطبري أولى القراءتين بالصواب عنه اعتمادًا على تفسيرها وبيان الحكم الشرعي المستنبط منها.

د. قال ابن جرير: "فقرأه بعضهم: (وكأين) ، بهمز الألف وتشديد الياء، وقرأه آخرون بمد الألف وتخفيف الياء، وهما قراءتان مشهورتان في قرأة المسلمين، ولغتان معروفتان، لا اختلاف في معناهما، فبأيّ القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب، لاتفاق معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج7، ص263).

هـ. كانت علته رحمه الله في اتفاق القراءتين هو اتفاقهما في المعنى وشهرتهما في كلام العرب.

و. قال أبو جعفر: "والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان صحيحةٌ وجوههما، مستفيضتان في قرأة الإسلام، غير مختلفتي المعاني، فبأيّتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك. غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك، فإن أحب القراءتين إلي أن أقرأ بها: (ليبيننه للناس ولا يكتمونه) بالياء جميعًا، استدلالًا بقوله: (فنبذوه) ، إذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله: (فنبذوه) حتى يكون متّسقًا كله على

معنى واحد ومثال واحد، ولو كان الأول بمعنى الخطاب، لكان أن يقال: (فنبذتموه وراء ظهورك) أولى من أن يقال: (فنبذوه وراء ظهورهم)" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج7، ص263). فاضل الطبري رحمه الله بين القراءتين بقوله "أحب القراءتين إليّ" مستندًا إلى ما بعدها من قوله: (فنبذوه)، وأنهما غير مختلفتان في المعنى.

ز. قال أبو جعفر: "اختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: (والذين عقدت أيمانكم)، بمعنى: والذين عقدت أيمانكم الحلف بينكم وبينهم، وهي قراءة عامة قرأة الكوفيين، وقرأ ذلك آخرون: (والذين عاقدت أيمانكم)، بمعنى: والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم الحلف بينكم وبينهم، ثم قال أبو جعفر: والذي نقول به في ذلك: إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة أمصار المسلمين بمعنى واحد" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج8، ص272). جعل اعتماده في اتفاق القراءتين اتفاقهما في المعنى.

ح. قال أبو جعفر: "والذي نرى في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقا التأويل، وإن كان في إحداهما زيادة معنى، غير موجبة اختلافًا في الحكم والمفهوم" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج5، ص119).

ط. جعل الطبري رحمه الله علة اتفاق القراءتين أنهما صحيحتا المعنى وأنهما متفقتا التأويل.

ي. قال أبو جعفر: وإنما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك أنهما قراءتان معروفتان أعني التاء والياء، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القراءتين، وهما جميعا فصيحتان عند العرب" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج6، ص365). كانت علته رحمه الله في اتفاق كلا القراءتين أنه لا اختلاف بينهما في المعنى، وأن القراءتين فصحتان عند العرب.

ك. قال أبو جعفر: "فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والبصرة: (تسّاءلون) بالتشديد، بمعنى: تتساءلون، ثم أدغم إحدى التاءين في السين، فجعلهما سينا مشددة، وقرأه بعض قرأة الكوفة: (تساءلون) بالتخفيف، وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان، وبأي ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج7، ص517).

ل. قال الطبري: "فقرأته عامة قرأة أهل الكوفة: (بالبَخَل" بفتح الباء والخاء، وقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض البصريين بضم الباء (بالبُخل)، ثم قال أبو جعفر: وهما لغتان فصيحتان بمعنى واحد، وقراءتان معروفتان غير مختلفتي المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في قراءته" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج8، ص351).

م. قال أبو جعفر: :والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في ياء (الميتة) لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيّهما قرأ ذلك القارئ فمصيب، لأنه لا اختلاف في معنييهما" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج3، ص319). علل اتفاق القراءتين بأنهما لغتان معروفتان في كلام العرب، وأنهما متفقتا المعنى.

ن. قال بو جعفر: "وهما لغتان معروفتان للعرب، فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية، ولم نر أحدًا من أهل العربية ادعى فرقًا بينهما في معنى ولا غيره، غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج6، ص46). كانت علة الاتفاق هي كونهما لغتان معروفتان عند العرب.

س. قال ابن جرير: "وأما قوله: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)، فإن قراءة كافة المسلمين: (وعلى الذين يطيقونه)، وعلى ذلك خطوط مصاحفهم، وهي القراءة التي لا يجوز لأحد من أهل الإسلام خلافها، لنقل جميعهم تصويب ذلك قرنا عن قرن" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج3، ص418).

ع. قال أبو جعفر: "وغير جائز عندي أن يقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين: إما بفتح الراء وإما بضمها، لأن قراءة الناس في أمصارهم بإحداهما، وأنا لقراءتها بضمها أشد إيثارًا مني بفتحها، لأنها أشهر اللغتين في العرب" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج5، ص536). لم يُجوّز الطبري القراءة بكلا القراءتين، معللًا أن إحدى القراءتين هي قراءة الأمصار، ولم يذكر أي القراءتين هي قراءة الأمصار، وقد مال رحمه الله إلى قراءة الضم محتجًّا بشهرتها عند العربية. مما سبق من ذكر بعض الأمثلة التي تبيّن موافقة الإمام الطبري للقراءات في اختياره، وبيان المعايير التي اتخذها في موافقته لهاته القراءات، وسيعرض الباحث أمثلة فيما يلي لنماذج تبيّن مخالفة الإمام الطبري للقراء في اختياره:

ف. قال ابن جرير: "فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق وعامة القرأة: (إلا أن تكون تجارة حاضرة) بالرفع، وانفرد بعض قرأة الكوفيين فقرأ به بالنصب، وذلك وإن كان جائزا في العربية، إذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان، وتضمر معها في كان مجهولًا، فإن الذي أختار من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغيره، الرفع في (تجارةٌ حاضرةٌ)، لإجماع القرأة على ذلك، وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم، ولا يعترض بالشاذ على الحجة" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج6، ص80). نصّ الطبري على شذوذ قراءة عاصم الذي انفرد بقراءة (تجارةً حاضرةً) بالنصب (ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، د.ت، ج2، ص237)، بحجة انفراده عن العامة.

ص. قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز غيرها: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)، بفتح الزاي من(زين)، ونصب (قَتْلَ) وخفض (أولادِهم) ورفع (شركاؤُهم)، لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم، على ما ذكرت من التأويل. وإنما قلت: لا أستجيز القراءة بغيرها، لإجماع الحجة من القرأة عليه، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد، ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج12، ص138). لم يُجِزْ قراءة ابن عامر الدمشقي بحجة خروجها عن قراءة الحجة وبعدم موافقتها تأويل أهل التأويل وبفسادها لمخالفتها قراءة العامة.

ق. قال الطبري: "فأما القراءة التي لا يجوز غيرها عندي لقارئ في ذلك، فتشديد ياء (الأمانيّ)، لإجماع القرأة على أنها القراءة التي مضى على القراءة بها السلف مستفيض ذلك بينهم، غير مدفوعة صحته وشذوذ القارئ

بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك، وكفى دليلا على خطأ قارئ ذلك بتخفيفها إجماعها على تخطئته" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج2، ص265). خطّأَ الطبري من قرأ بتخفيف ياء الأماني.

ر. قال الطبري: "وقد ذكر عن الحسن البصري وعبد الله بن كثير أنهما كانا يقرآن: (جبريل) بفتح الجيم. وترك الهمز، قال أبو جعفر: وهي قراءةٌ غير جائزةٌ القراءة بها، لأن فعليل في كلام العرب غير موجود" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج2، ص389). لم يجوّز الطبري رحمه الله قراءة ابن كثير معللًا قوله بأنه غير موجودة في كلام العرب.

ش. قال أبو جعفر: "وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه: (وليقولوا درست)، بتأويل: قرأت وتعلمت; لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) [سورة النحل: 103]، فهذا خبر من الله يُنبئ عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره، فإذا كان ذلك كذلك، فقراءة: (وليقولوا درست)، يا محمد، بمعنى: تعلمت من أهل الكتاب، أشبه بالحق، وأولى بالصواب من قراءة من قرأه: (دارست)، بمعنى: قارأتهم وخاصمتهم، وغير ذلك من القراءات" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج12، ص27).

ت. قال أبو جعفر: "والصواب من القراءة في ذلك عندي: (إلا أن يكون) بالياء (ميتة)، بتخفيف الياء ونصب (الميتة)، لأن الذي في يكون من المكنى من ذكر المذكر وإنما هو: قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا، فأما قراءة (ميتة) بالرفع، فإنه، وإن كان في العربية غير خطأ، فإنه في القراءة في هذا الموضع غير صواب" (الطبري، جامع البيان، 1420هـ، ج12، ص196).

الخاتمة

خلُص البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمال أهمها في إيراد الطبري لعدد كبير من القراءات في تفسيره دون ضبط دقيق ونسبة لأصحابها في كثير من الأحيان. تعرض ابن جرير الطبري لكثير من القراءات المتواترة وصوّب بعضها وردّ بعضها بحجة عدم فصاحتها أو عدد وجودها في كلام العرب وغير ذلك من الحجج التي من خلالها حكم الطبري على القراءات التي أوردها في تفسيره. ذكر الطبري كثير من القراءات الشاذة التي لم يحكم عليها الطبري ولم يبيّن موقفه منها من حيث القبول والرد. أورد الطبري رحمه الله الكثير من القراءات في تفسيره وفي كثير من الأحيان لم يعز هذه القراءات عزوًا تامًا. نسب الطبري رحمه الله أغلب القراءات التي أوردها في تفسيره إلى الأمصار التي ينتمي إليها القراء دون التصريح بأسمائهم.

المراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م)

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد تميم الزعبي، ط2 (المدينة المنورة: مكتبة نور الهدى، 1414هـ/1994م)

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، د.ط، (د.م: مكتبة ابن تيمية، 1351هـ)

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م)

ابن الجزري، شهاب الدين محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: أنس مهرة، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ/2001م)

ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)

ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، ط1 (الأردن: دار الفرقان، 1421هـ/2002م)

ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها، تحقيق: على النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط1 (القاهرة: وزارة الأوقاف، 1415هـ/1994م)

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، د.ط (القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت)

ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط4 (بيروت: دار الشروق، 1401هـ)

ابن زنجلة، أبي زرعة عبد الرحمن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط5 (بيروت: دار الرسالة، 1422هـ/2004م)

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، ط1 (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1420هـ/2000م)

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، تحقيق: طه بن علي بو سيريح التونسي، ط1 (مصر: دار السلام، 1427هـ/2006م)

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، د.ط (د.م: دار الفكر، 1415هـ/1995م)

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996م)

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1 (الرياض: دار الوطن للنشر، 1419هـ/1998م)

الأصبهاني، أبوبكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، د.ط (دمشق: مجمع اللغة العربية، 1981م)

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القريشي الطليحي التميمي أبو القاسم الملقب بقوام السنة، سير السلف الصالح، تحقيق: كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، د.ط (الرياض: دار الراية للنشر، د.ت)

الأصبهاني، الحافظ أبو بكر بن أحمد بن الحسين بن مهران، الغاية في القراءات العشر، تحقيق: محمد غياث الجنباز، ط1 (الرياض: دار الشواق، 1405هـ/1985م)

البنّا، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، ط1 (بيروت: دار عالم الكتب، 1407هـ/1987م)

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2 (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ/1975م)

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام ابن عاشور، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1422هـ/2002م)

الحربي، عبد العزيز بن علي بن علي، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرًا وإعرابًا، تحقيق: محمد سيدي الحبيب، د.ط، (السعودية: جامعة أم القرى، 1417هـ)

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، ط2 (بيروت: دار صادر، 1995م)

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م)

خاروف، محمد فهد، الميسر في القراءات الأربع عشرة، تحقيق: محمد كريم راجع، ط1 (بيروت: دار الكلم الطيب، 1420هـ/2000م)

الخطيب البغدادي، أبوبكر بن أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تذكرة الحفاظ، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م)

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط3 (بيروت: دار الرسالة، 1405هـ/1985م)

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 (دمشق: دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ/1957م)

الزركلي، خير الدين بن محمد بن محمد بن فارس الدمشقي، الأعلام، ط15 (د.م: دار العلم للملايين، 2002م)

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، الكشّاف عن حقائق وغوامض التفسير، ط3 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ)

السخاوي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: مركز الدراسات الإسلامية، د.ط (المدينة المنورة: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1434هـ)

الضباع، إياد خالد، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، د.ط (دمشق: دار القلم، د.ت)